هل تبشر الأيام القادمة بفصل جديد من الأحداث الدموية في لبنان أم ماذا ؟

بقلم الكولونيل شربل بركات

بين الحين والآخر يظهر لنا بطل فيلم جديد يعيد إلى الأذهان صور الحرب فيضع الناس أيديهم على قلوبهم خشية العودة إلى أيام القتال المرة التي عاشوها في لبنان لعشرات من السنين.

ويتراكض "العارفون" و"المتفائلون" و"المحبون" ليلفلفوا القضية فيدخلوا أصابع إسرائيل وعملائها فيها ثم يفشون خلقهم ببعض المسيحيين المطالبين بالسيادة والاستقلال.

وكأن سيف الإرهاب هذا سيبقى مسلطا على رقاب اللبنانيين طالما رفضوا القبول، ليس بالوصاية فقط، فهم قد رضخوا، إنما بالحلم بسيادة أو بمجرد التفكير بهكذا محرمات...

قضية" أبو محجن"، وقضية "حزب الله"، وقضية "عصبة الأنصار" وجماعة القتلة في شمال لبنان، كلها سلسلة واحدة متصلة الأهداف متماسكة الحلقات يرعاها الاحتلال ويغذيها لتكون السيف المسلط على رقاب اللبنانيين عندما لا تفلح أجهزته بخرقهم وجعلهم يهللون فيضطر لاستعمال "القضيب" إذا لم يكن هناك حاجة "للسيف"، لتربية المخلين،(كيف لا وهم ورثة معاوية الذي قال لا أضع سيفي حيث يمكنني أن أضع سوطي) والقضبان والأسواط موزعة يمنة ويسرى ولا حاجة للإبداع...

يوم قالوا إن لبنان ستعود له العافية بمجرد القبول بالطائف لأن سوريا لا تريد منه إلا حفظ كرامتها وماء وجهها ومنع الصهاينة من استهدافها. قبل البعض ورفض البعض الآخر، فجاءنا من أمريكا التهديد والوعيد وكلنا يذكر "مورفي" وقوله المشهور:"مرشح سوريا أو الفوضى". وكانت الفوضى، وكأن هذه الفوضى كانت رحلت، لتعود ؟

كانت الفوضى يومها بالحقيقة من الأصعب، فقد خرقت الصفوف ومزقت البيوت، وأظهرت قدرة الشر حين يطغى، وكأن الشر يومها كانت له مباركة الغرب و"قيمه"، فإذا به يجرف ما تبقى من الأمل بقتال أقرب الأهل. وذهب لبنان وقُضي على العنفوان، وقيل لو صمد، أو قاتل، أو قبل، لما وصلنا إلى هذا اليوم. وبدأت الحلول "سحب أسلحة كافة المليشيات والتنظيمات"، "حكومة الوحدة الوطنية"، "الإنماء" و"إعادة الإعمار"، "عودة المهجرين" وشعارات أخرى. لكن ذلك كله وقف عند تطويع أهل البيت. فسحب سلاحهم، ثم زج بقادتهم في السجون أو القبور أو المنافي. وبقي سلاح كل الآخرين؛ الإيرانيون جماعة ما سموه "بحزب الله" لأنهم يقاتلون إسرائيل، والفلسطينيون جماعة "عرفات" لأنهم يحمون المخيمات، وأذناب "الشقيقة" من الأحزاب شُرعت أسلحتهم وأصبحت ضرورة لحماية "النظام".

في هذا الوقت كان "لحد" في الجنوب ينادي على الدولة أن تتسلم الجنوب منه لتحل جيشه كباقي المليشيات وتعيد الأمن ولا حاجة للقتال. وكانت المراسلات بينه وبين "الهراوي" على قدم وساق، وحجة الحكم للتروي يومها أنه لا يستطيع حل كل شيء بيوم واحد. وبدأ "حزب الله" برنامجه الإعلامي الشهير "القتال المتلفز" و"العمليات الإرهابية السينمائية" والتغطية لهذا كله كانت من قبل الاحتلال يقبض ثمنها من إيران من جهة ويبتز السعودية ودول الخليج من الجهة الأخرى، ولكن الحقيقة هي أنه كان يخلق في لبنان "سرطانا" جديدا سيمنع الاستقرار وعودة البلد إلى الحياة ويبقى العصى التي يرفعها بوجه من عصى.

ثم أنشأ "عصبة الأنصار" ليرضي التطرف السني، وسمح لجماعات "القاعدة" وغيرها بإعادة التدريب والتسلح في عكار، وذلك ليكون له "قضبانا" أخرى يرفعها بوجه المطالبين بالسيادة.

وبعملية إعلامية كمثل عمليات" حزب الله" يظهر" أبو محجن" بطل فيلم جديد يذكر بالأحداث ويطلق النار في قلب بيروت و يمثل داخل المخيمات قضيبا يسلط ساعة الحاجة على جماعة "عرفات"، لأن عرفات كان قد بدأ التفاوض وكاد أن يسرق كل الأضواء ولا يبقي شيئا لسوريا.

ثم يذهب هذا الإرهاب عينه فيخرق كل الحدود. وبعملية إعلامية مشابهة لعمليات "حزب الله"، يضرب في قلب أمريكا كما كان ضرب سابقا في قلب بيروت،(مع حزب الله، يومها، السفارة الأمريكية، ومركز المارينز، ومركز المظليين الفرنسيين)، يضرب رموز القدرة العالمية التي تمثلها الولايات المتحدة وهي "مركز التجارة العالمي" و"البنتاغون" و"البيت الأبيض"(لم تنجح).

فسلام على"مورفي" وحلوله، والتهنئة لسوريا التي استطاعت أن تشارك في التحضير النفسي إذا لم يكن العملي لكل العمليات بدقة وبدون أن يرصد أي جهاز لها إصبع. ولكن فيلم "حزب الله" الأخير في الأوزاعي وفيلم "عائشة بكار" وفيلم صيدا الجديد مع "أبو عبيدة" اليوم هل هي جزء من الفيلم عينه أم أنها سلسلة أفلام من نوع آخر ليس على مستوى العالم، إنما فقط على قياس اللبنانيين ليرتدعوا عن المطالبة بخروج سورية كما كانت مظاهرة "السواطير"، وكلما نطق أحدهم بقول جريء نرى بطلا جديدا وفيلما جديدا ينفذ على مسرح لبنان.

٢٠٠٢/٧/١٥